سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس الثاني

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني

قال المصنف رحمه الله:

وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ [بِهِ] رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ؛ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّورىٰ].

فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ [تَعَالَىٰ] وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ ﷻ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ. ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه وصفوته من بريته صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليمًا مزيدًا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

فقد مرت معنا مقدمة هٰذه الرسالة الوجيزة بألفاظها الكبيرة في معانيها.

وقد ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أنّ هٰذا الاعتقاد الذي في هٰذه الرسالة هو (**اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**) فهٰذا الاعتقاد -كما ذكر- هو (**اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ**) يعني التي ستنجو من النار بوعد الله جل وعلا لها بذلك يوم القيامة، وهي ناجية في الدنيا من الانحراف والفرقة والاختلاف، وهم الطائفة المنصورة التي نصرها الله جل وعلا في الدنيا باللسان أو بالسنان أو بهما معا، وهي الطائفة المنصورة يوم القيامة علىٰ جميع المخالفين لها كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر]، وبين أنّ هؤلاء هم أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، كما قال (**فَهٰذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**).

فإذن هٰذا الاعتقاد الذي سيأتي في هٰذه الرسالة مفصلا هو اعتقاد الفرقة الناجية وهو اعتقاد الطائفة المنصورة، وقد مرّ بك معنىٰ كونها فرقة ناجية ومعنىٰ كونها طائفة منصورة.

أما هٰذا اللفظ وهٰذا الوصف الثالث الذي تميّز به هؤلاء وهو أنهم (**أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**)، ومعنىٰ (**أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**) أنهم أصحاب السنة الذين لزموها في اعتقادهم ولزموها في أقوالهم وأعمالهم، يعني في الجملة، وتركوا غير ما دلّت عليه السنة.

والسُّنّة: هي الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابُه المنتخبون الخيرة ومن سار علىٰ نهجهم.

والسُّنة عند أهل الأصول: هي ما أُضيف إلىٰ النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو وصف، فهٰذا يطلق عليه السنة.

والمراد هنا: **ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام من الأقوال والأعمال والتقريرات**، فهٰذا ينسب إليه بهٰذا الاعتبار أهل السنة والجماعة. فيقال: هم أهل السنة، يعني هم أهل اتباع أقوال النبي ﷺ، وأهل إتباع أقواله عليه الصلاة والسلام، وأهل إتباع تقريراته.

و(أَهْلِ السُّنَّةِ) هٰذا اللفظ يطلق باعتبارين:

١ – فتارة يطلق ويراد به من خالف الرافضة وفرق الرافضة، من خالف الشيعة والرافضة وما تفرّع من ذلك، هٰذا إطلاق.

فيدخل في هٰذا الإطلاق:

يدخل فيه أهل الأثر؛ أهل الحديث.

ويدخل فيه الأشاعرة.

ويدخل فيه الماتريدية.

ويدخل فيه كل من خالف الرافضة.

فيدخل في (أَهْلِ السُّنَّةِ) الذين عندهم نوع احتجاج بالحديث، فيخرج الرافضة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحو ذلك.

هٰذا باعتبار المقابلة –باعتبار مقابلة هٰذا اللفظ – لأهل التشيع، فيقال: السنة والشيعة، وأهل السنة وأهل التشيع.

فيدخل في هٰذا اللفظ – أهل السنة – من وصفت لك.

٢ – ثم يطلق باعتبار آخر: وهو أنهم – كما ذكرت لك في التعريف الأول– أنهم أهل اتباع النبي عليه الصلاة والسلام في الأقوال والأفعال والتقريرات، الذين لا يقدمون شيئًا من العقول علىٰ سنة النبي ﷺ، سواءٌ في الأخبار أو في الأحكام أو في السلوك والأخلاق.

وهٰذا هو الذي يُعْنىٰ به هٰذه الطائفة، وهم طائفة أهل الأثر، طائفة أهل السنة والجماعة، طائفة أهل الحديث الذين تميزوا بهٰذا الاعتقاد، الذين هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلىٰ قيام الساعة.

فتلخّص إذن أن هٰذا اللفظ وهو (أَهْلِ السُّنَّةِ) دون لفظ (الْجَمَاعَةِ) دون أن تعطف (الْجَمَاعَةِ) عليها، يطلق بأحد هذين الاعتبارين:

- قد يطلق ويراد به: ما عدا الرافضة.
- وقد يطلق –وهو الأصل– ويراد به: من لازم السنة علىٰ ما وصفت لك.

وأما قوله: (وَالْجَمَاعَةِ) فإن هٰذا اللفظ استعمله طائفةٌ من أهل السنة المتقدمين من طبقة مشايخ أحمد وطبقة الإمام أحمد ومن بعدهم.

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ استعمل لفظ الجماعة، فمنها:

أنه ذكر أن الفرقة الناجية في حديث الافتراق المشهور حيث قال –بعدما ساق الافتراق– قال: «**كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**».

وفي لفظٍ آخر قال: «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي**».

وفي روايةٍ أخرىٰ زاد لفظ «**اليوم**» في قوله: «**من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

فهٰذا اللفظ – لفظ (**الْجَمَاعَةِ**) – قد جاء الحثّ بالتمسك به، بالتمسك بالجماعة ولزوم الجماعة في أحاديث كثيرة، والآيات التي فيها النهي عن التفرق، فيها الأمر بلزوم الجماعة بالمفهوم.

وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»، والنصوص في ذكر الجماعة كثيرة وبالحث عليها والحض علىٰ لزومها والتحذير من مخالفة الجماعة.

وقد اختلف أهل العلم من المتقدمين في معنىٰ (**الْجَمَاعَة**) وفي تفسير (**الْجَمَاعَة**):

١. ففسرها طائفة: بأن (**الْجَمَاعَة**): هي السواد الأعظم، وهٰذا التفسير منقولٌ عن ابن مسعود الهُذلي الصحابي المعروف رضي الله عنه ، وعن أبي مسعود الأنصاري البدري رضي الله عنهما، ساق ذلك عنهما جمعٌ منهم: اللالكائي في كتابه «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» قال: إن الجماعة هي السواد الأعظم.

وقد جاء في بعض الأحاديث – وفي إسنادها من لا يُحتج به – أنه قال عليه الصلاة والسلام «**عليكم بالسواد الأعظم**».

فأخذوا أنّ الجماعة هي السواد الأعظم، ويعنون بـ(السواد الأعظم) السواد الأعظم في وقتهما؛ وذلك أنه في وقت ابن مسعود في أواخره بدأ ظهور الذين يقومون علىٰ عثمان من الخوارج ومن شابههم، وحثوا علىٰ لزوم السواد الأعظم، وهو سواد عامة صحابة رسول الله ﷺ.

٢. وفسر طائفة (**الْجَمَاعَة**) –وهٰذا هو التفسير الثاني–: بأن (**الْجَمَاعَة**) هم جماعة أهل العلم والسنة والأثر والحديث.

سواءٌ كانوا من أهل الحديث تعلُّمًا وتعليمًا.

أو كانوا من أهل الفقه تعلمًا أو تعليمًا.

أو كانوا من أهل اللغة تعلُّمًا وتعليمًا.

فأهل الجماعة: هم أهل العلم والفقه والحديث والأثر. هؤلاء هم الجماعة.

هٰذا القول هو مجموع أقوال عددٍ من الأئمة:

حيث قالوا: إن (**الْجَمَاعَة**) وإن (**الْفِرْقَة النَّاجِيَة**) هم أهل الحديث. كما ذكر ذلك الإمام أحمد في قوله: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم. وذكر ذلك أيضًا عبد الله بن المبارك، ويزيد بن هارون، وجماعة من أهل العلم.

وقال آخرون: هم أهل العلم. كما ذكره البخاري.

محصل هٰذا – هٰذا القول – أن (الْجَمَاعَة) هم أهل العلم وأهل الحديث وأهل الأثر، ساق تلك الأقوال الخطيب البغدادي في كتابه «شرف أصحاب الحديث» بأسانيدها إلىٰ من قالها، وهٰذا هو الذي اشتهر عند العلماء بل عُدَّ إجماعًا؛ أن المعني بـ(الْجَمَاعَة) وبـ(الْفِرْقَة النَّاجِيَة) أنهم هم: أهل الحديث والأثر. يعني في زمن الإمام أحمد وما قاربه؛ لأنهم هم الذين نفوا عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وهم الذين نصروا السنة ونصروا العقيدة الحقة وبينوها وردوا علىٰ من خالفها وأعلوا عليه النكير من كل جهة.

٣. القول الثالث أن (الْجَمَاعَة): أصحاب رسول الله ﷺ، وهٰذا القول منسوبٌ إلىٰ الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه رحمةً واسعة.

وهٰذا القول دليله واضح وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام قال في بعض ألفاظ حديث الافتراق: «**هي الجماعة**»، وقال في ألفاظٍ أُخَرْ: «**ما كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، ومعنىٰ ذلك أنّ الجماعة هي الصحابة.

٤. القول الرابع وهو قولٌ نذكره لكنه لا دليل عليه: أن (الْجَمَاعَة) هم أمة الإسلام بعامة، لكن هٰذا باطل؛ لأن هٰذا يناقض حديث الافتراق، فإن حديث الافتراق يبيِّن أن أمة الإسلام – يعني أمة الإجابة – تفترق إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة، وعَدُّ (الْجَمَاعَة) هي أمة الإسلام، يناقض هٰذا الحديث مناقضةً واضحة صريحة.

٥. القول الأخير أن (الْجَمَاعَة) يراد بها: عصبة المؤمنين الذين يجتمعون علىٰ الإمام الحق فيدينون له بالسمع والطاعة ويعقِدون له البيعة الشرعية، واختار هٰذا القول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وجماعة كثيرون من أهل العلم، قالوا: لأنه بهٰذا يحصل الاجتماع والائتلاف إذا كان علىٰ إمامٍ حق.

إذا كان كذلك، فهٰذه الأقوال كما ترىٰ متباينة، ولكن في هٰذا القول وهو تحديد من هم أهل السنة والجماعة نحتاج إلىٰ أن نعلم هٰذه الأوصاف التي ذُكرت في هٰذه الأقوال.

وتحقيق المقام أن الأقوال الثلاثة الأُوَلْ وهي:

- القول بأن (الْجَمَاعَة) هم: **السواد الأعظم**.
- أو أن (الْجَمَاعَة) هم: **أهل العلم والحديث والأثر**.
- أو أن (الْجَمَاعَة) هم: **صحابة رسول الله ﷺ**.

هٰذه الأقوال متقاربة، وهي من اختلاف التنوع؛ لأن (الْجَمَاعَة) الذين هم السواد الأعظم، كما فسرها ابن مسعود وأبو مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هٰذا يعنون به صحابة رسول الله ﷺ. ومن فسرها – وهم أكثر أهل

العلم – بأن (الْجَمَاعَة) هم أهل العلم والأثر والحديث، هؤلاء لأنهم تمسكوا بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، و(الْجَمَاعَة) المراد بها: أصحاب رسول الله ﷺ.

فتحصل إذن أنّ هٰذه الأقوال الثلاثة ترجع إلىٰ معنًى واحد، وأن (أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) هم الذين تابعوا صحابة رسول الله ﷺ وتابعوا أهل العلم والحديث والأثر في أمورهم.

أما قول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ فهٰذا صحيح، وهو أن (الْجَمَاعَة) هم عصبة المؤمنين الذين اجتمعوا علىٰ الإمام الحق.

وتبيان ذلك – مما يبيِّن حصيلة هٰذا الكلام ويقرره أتم تقريرٍ وأوضح تقرير – أن (الْجَمَاعَة) مقابلة لـ (الفُرقة)، و(الافتراق) يقابله الاجتماع. وقد ذكر الخطابي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ في كتابه (العزلة) كلمة فائقة فيها تحرير هٰذا المقام. قال: إن (الافتراق) ينقسم إلىٰ:

- افتراق في الآراء والأديان.
- وإلىٰ افتراق الأشخاص والأبدان.

افتراق تارةً يكون في الآراء والأديان، وتارةً يكون في الأشخاص والأبدان.

هكذا قال، وهٰذا كلامٌ دقيقٌ متين.

قال: و(الاجتماع) اجتماع بمقابل ذلك بالآراء والأديان، ويكون اجتماع بالأشخاص والأبدان، والاجتماع في الأشخاص والأبدان هٰذا ينقسم... إلىٰ آخر ما يحصله كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

نأخذ من هٰذا أنه لفهم معنىٰ (الْجَمَاعَة) فهمًا دقيقًا – لأنه ينبني علىٰ هٰذا فهم معنىٰ (أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) حتىٰ لا يُدخل فيهم من ليس منهم – تحريره:

أن (الْجَمَاعَة) تطلق باعتبارين:

١- جماعةٌ باعتبار العقائد والأديان؛ باعتبار الآراء والأديان: فإذا نظرت إلىٰ هٰذا المعنىٰ في الاجتماع فإنه مأمورٌ به، والاجتماع علىٰ الآراء والأديان الأقوال في الدين وعلىٰ الأحكام وعلىٰ العقائد وعلىٰ المنهج ونحو ذلك، فهٰذا لا بد أن يكون له مرجع، ومرجعه في فهم نصوص الكتاب والسنة هم صحابة رسول الله ﷺ. وبهٰذا يلتقي هٰذا الفهم مع أقوال أهل العلم الذين قالوا: إن (الْجَمَاعَة) هم صحابة رسول الله ﷺ. وعلىٰ هٰذا فالذين أخذوا بما قالته الصحابة وما بينته الصحابة من أحكام الشرع من الأحكام الخبرية – يعني من العقائد – فإنه علىٰ الحق وهو الذي لم يكن مع الفرق التي فارقت الجماعة، وهؤلاء الذين هم مع صحابة رسول الله ﷺ هم مع السواد الأعظم قبل أن يفسد السواد الأعظم، ومعلومٌ أنه لا يُحتج بالسواد الأعظم في كل حال، وإنما السواد الأعظم الذي يحتج به هو السواد الأعظم لصحابة رسول الله ﷺ.

وهٰذه مسألةٌ في غاية الأهمية؛ إذ الاحتجاج بالسواد الأعظم إنما يراد به: السواد الأعظم للمهتدين، وهم صحابة رسول الله ﷺ ومن تابعهم في أمور الدين، فصار إذن هاهنا قولان رجعا إلىٰ هٰذا المعنىٰ.

كذلك من قال: إن (الْجَمَاعَة) هم: أهل العلم والحديث والأثر ومن سار علىٰ نهجهم من الفقهاء وأهل اللغة ونحوذلك، هؤلاء إنما أخذوا بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم وساروا علىٰ ما قرروه، فإذن هم مع الجماعة قبل أن تفسد الجماعة ومع السواد الأعظم قبل أن يتفرق الناس عنه.

لهٰذا جاء ما جاء في أن (الْجَمَاعَة) ما كان علىٰ الحق وإن كنت وحدك، الجماعة ما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة كما قاله طائفة من علماء السلف.

وهٰذا يريدون ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ قبل أن يفسد الناس؛ لأنه حصلت فتن وحصلت للناس أمورٌ منكرة وافتراءٌ في الدين، فكيف تضبط هٰذه المسألة وهي أعظم المسائل التي هي مسألة الاعتقاد وما يجب اعتقاده وما يُنهج بالحياة.

قال أهل العلم: إن (الْجَمَاعَة) يعني التي من تمسك بها فهو علىٰ الجماعة ومن حاد عنها فهو من أهل الفرقة، قالوا: هم صحابة رسول الله ﷺ. وهٰذا ظاهرٌ كما ترىٰ.

٢- المعنىٰ الثاني لـ(الاجتماع): اجتماعٌ بالأبدان؛ اجتماع في الأشخاص والأبدان – كما عبر عنه-، وهٰذا هو الذي فهمه ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، ولا شك أن هٰذا مأمورٌ به في نصوصٍ كثيرة، النبي ﷺ أمر بالجماعة بهٰذا المعنىٰ – الاجتماع علىٰ الإمام – وعدم التفرق عليه وترك الخروج عليه والبعد عن الفتن التي تفرق المؤمنين، وهٰذا مما تميز به صحابة رسول الله ﷺ، وتميز به أهل السنة في كل عصر، فنظر ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ إلىٰ ما فعله الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ مع ما حصل من المأمون والمتوكل والواثق فإنه لم ينزع يدًا من طاعة؛ لأنه رأىٰ أن الاجتماع إنما يحصل بذلك، فأخذ بما جاء في النصوص بهٰذا المعنىٰ.

وهكذا أهل السنة والجماعة هم علىٰ هذين الأمرين.

إذن (أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) تحصل علىٰ أن معنىٰ (الجماعة) – وإن تعددت الأقوال – فإن هٰذه الأقوال كاختلاف التنوع؛ لأن جميعها صحيح دلت عليه نصوص الشرع، فباجتماع هٰذه الأقوال يحصل لنا المعنىٰ الصحيح لـ(أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ).

غلط من غلط في معنىٰ (أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) فأدخل في (أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) بعض الفرق الضالة كالأشاعرة والماتريدية، ومن أمثال من غلط من المتقدمين: السَّفَّاريني في شرحه (لوامع الأنوار البهية)، قال: أهل السنة والجماعة ثلاث فرق:

الأولىٰ: الأثرية، أتباع الأثر.

والثانية: الأشعرية، أتباع أبي الحسن الأشعري.

والثالثة: الماتريدية، أتباع أبي منصور الماتريدي.

وإذا كان كذلك فإنه علىٰ هٰذا الكلام إنّ الأشعرية والماتريدية وأهل الأثر هم جميعًا من (الْجَمَاعَةِ). وهٰذا باطل؛ لأن أهل الأثر هم الذين تمسكوا بما كانت عليه الجماعة، وأما الأشاعرة

والماتريدية فهم يقولون قولتهم المشهورة يقولون: **كلام السلف أسلم ولكن كلام الخلف أعلم وأحكم**. وهٰذا لا شك أنه فيه افتراق وفرقة وخلافٌ واختلاف عما كانت عليه الجماعة قبل أن يَظهرَ نجم الابتداع في هٰذه الأمة.

فإذن هٰذا الكلام من الكلام الذي هو غلط علىٰ (**أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**)، ولم يقل به أحد أئمة أهل السنة الذين يفهمون كلام أهل السنة وكلام المخالفين.

فإذن (**أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**)، فرقةٌ واحدة، طائفةٌ واحدة لا غير، وهم الذين يعتقدون هٰذا الاعتقاد الذي سيبينه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ في هٰذه الرسالة.

وإذا تبين لك أن من لم يكن علىٰ هٰذه الجماعة فإنه علىٰ الفرقة والضلال والاختلاف، فهٰذا يعطيك أهمية العناية بهٰذه الرسالة التي تشرح لك اعتقاد أهل السنة والجماعة قبل أن يخالفها المخالفون وقبل أن يكثر الفساد والاختلاف في هٰذه الأبواب، وأن تلتزم بطريقتهم ونهجهم في هٰذه الأمور التي سيبينها شيخ الإسلام في هٰذه الرسالة العظيمة.

كل ما سيأتي في هٰذه الرسالة هو تفصيلٌ لاعتقاد (**أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**) مع شيء من الاقتضاب يناسب هٰذه الرسالة.

قال هنا في بيان هٰذا الاعتقاد (**وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)

اعتقاد أهل السنة والجماعة مبنيٌّ علىٰ هٰذه الأركان التي بينها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ في هٰذه الكلمات، وهٰذه الكلمات هي أركان الإيمان التي جاء الأمر بها في الآيات وفي الأحاديث الصحيحة:

قال جل وعلا: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة:١٧٧]، فذكر هٰذه الخمسة، وقال جل وعلا في آخر السورة نفسها: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٧٥]، وقال جل وعلا في القدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[القمر].

وقد جاءت هٰذه الستة في حديث جبريل المشهور، وهي أركان الإيمان؛ حيث سأل جبريلُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام: قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «الإيمان: **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه**»، هٰذه الأركان الستة هي أركان الإيمان.

والإيمان إذا قُرن بالإسلام فيُعنىٰ به الاعتقاد الباطن، وهٰذه الرسالة فيها ذكر الاعتقاد، اعتقاد أهل السنة والجماعة، فتحصَّل أن الإسلام يُعنىٰ به الأمور الظاهرة، والإيمان يُعنىٰ به الأمور الباطنة، يعني أمور اعتقاد القلب وهو مبنيٌّ علىٰ أركانٍ ستة.

الأول: الإيمانُ بالله.

الثاني: الإيمان بالملائكة.

الثالث: الإيمان بالكتب.

الرابع: الإيمان بالرسل.

الخامس: الإيمان بالبعث بعد الموت أو الإيمان باليوم الآخر.

السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالىٰ.[1]

الإيمان ما هو؟ قال هنا: (**وَهُوَ الإِيمانُ**) يعني اعتقاد أهل السنة والجماعة هو الإيمان.

الإيمان له معنىٰ في اللغة وله معنًىٰ في الشرع، لأنه من الألفاظ التي نقلت من معناها اللغوي إلىٰ معنىٰ شرعي مثل الصلاة والزكاة ونحو ذلك.

فأما معناه في اللغة فهو: التصديق أو التصديق الجازم. كما قال تعالىٰ مخبراً عن قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾[يوسف]، يعني ما أنت بمصدقنا ولو كنا صادقين، فالإيمان في اللغة هو التصديق، آمن لفلان؛ يعني صدقه، آمنتُ لكلامك؛ يعني صدقتُ لكلامك بحيث إنه لا ريب عندي فيما تقول.

أما معناه في الشرع فإن الإيمان: قول وعمل؛ قول القلب وعمل القلب، وكذلك قول اللسان وقول القلب وعمل الجوارح والأركان.

فإذن الإيمان في اللغة له معنىٰ، أما في الشرع فزيادة علىٰ معناه اللغوي أنه له موارد: القلب والجوارح قول وعمل، حصّل هٰذا أهل العلم بقولهم إن الإيمان في الشرع:

- هو القول باللسان؛ يعني بشهادة التوحيد.
- والاعتقاد بالجنان؛ الاعتقاد المفصل الذي سيأتي هنا.
- والعمل بالجوارح والأركان.

فهٰذا هو معنىٰ الإيمان في النصوص وهو المراد بالإيمان عند أهل السنة والجماعة.

قول القلب هو اعتقاد القلب، الإيمان قول وعمل: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح والأركان. هٰذه أربعة أشياء تحتاج إلىٰ تفصيلها.

١. **قول القلب**: هو اعتقاده، لا بد من أن يكون ثم قول وهو اعتقاد القلب، اعتقادات القلب هي أقواله؛ لأنه يحدّث بها نفسه قلبا فهو يقولها في قلبه، فأقوال القلب هي الاعتقادات وهي التي ستأتي مفصلة في هٰذا الكتاب.

---

(١) انتهىٰ الشريط الأول.

٢. **قول اللسان** بالشهادة لله بالتوحيد، بقولِ لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

٣. ثم **عمل القلب**: عمل القلب أوله نيته وإخلاصه، أنواع أعمال القلوب من التوكل والرجاء والرغب والرهبة والخوف والمحبة والإنابة والخشية، ونحو ذلك من أنواع أعمال القلوب.

٤. **عمل الجوارح** بأنواع الأعمال مثل: الصلاة والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك من الأعمال.

هٰذا هو الإيمان، بعضه -بعض هٰذا الإيمان- هو قول القلب الذي هو اعتقاداته وهٰذا هو الذي سيأتي تفصيله في هٰذه الأركان.

فإذن هٰذه الأركان هي أركان الإيمان، وهي بعض الإيمان، هي الأركان التي يقوم عليها الإيمان، إذا تحققها المعتقد لها فإنه سيتبع قول اللسان، سيتبع بعد ذلك عمل القلب، سيتبع بعد ذلك عمل الجوارح والأركان، وكلها من حقيقة الإيمان.

قال هنا: (**وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ**)، (**الإِيمانُ بِاللهِ**) -قبل أن ندخل فيه- هٰذه الستة تفصيلها في هٰذه الرسالة إما باقتضاب أو بتفصيل.

☚ أولها: (**الإِيمانُ بِاللهِ**) الإيمان بالله يشمل أشياء:

الأول: أول درجات الإيمان بالله: أنْ **يؤمن بأن الله جل وعلا موجود**، بأن له ربا موجودا، وأنه لم يوجد من عدم، وأن لهٰذا الملكوت موجد، هٰذا أول درجات الإيمان بالله.

الثاني: أنْ يؤمن بأنّ هٰذا الذي له هٰذا الملك أنه واحد فيه، **واحد في ربوبيته**، لا شريك له في ملكه، يحكم في ملكه بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا مُراجع له في أمره جل وعلا، نعني بالمُراجع عدم المُنَفِّذ في أمره جل وعلا، وهٰذا هو الذي يُعنىٰ به توحيد الربوبية.

الثالث: الإيمان بأنّ هٰذا الذي له ملكوت كل شيء وأنّه صاحب هٰذا الملك وحده دون ما سواه، الذي ينفذ أمره في هٰذا الملكوت العظيم **أن له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا**، له النعوت الكاملة، له الكمال المطلق بجميع الوجوه، الذي ليس فيه نقص من وجه من الوجوه، بل له الكمال في أسمائه، له الكمال في صفاته، له الكمال في أفعاله، له الكمال في حكمه؛ في بريته وفي خلقه، وهٰذا هو الذي يعنىٰ بتوحيد الأسماء والصفات، ويُعتقد مع ذلك أنه في تلك النعوت وتلكم الصفات أنه ليس ثم أحد يماثله فيها ولا يكافئه فيها، كما قال جل وعلا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم]، وكما قال جل وعلا: ﴿ وَلَمْ

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص]، فليس له جل وعلا مثيل ولا كفؤ ولا نظير ولا ند ولا عدل تبارك ربنا وتعالىٰ عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

الرابع: وهو الأخير وهو المهم الأعظم في الإيمان بالله: الإيمان بأنّ هٰذا الموجود الذي له الملك وحده دون ما سواه والذي له نعوت الجلال والجمال والكمال علىٰ وجه الكمال **أنه هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه**، وأنّ كل ما سواه فلا يستحق شيئا من العبادة، وأن أنواع العبادة -عبادات القلب أو عبادات الجوارح- أن المستحق لها بقليلها وكثيرها هو الله جل وعلا وحده دون ما سواه.

فمن أتىٰ بهٰذه الأربعة فقد أتىٰ بالإيمان بالله الذي هو ركن من أركان الإيمان.

ومن ترك الأولىٰ منها فهو ملحد، لا شك، يتبع ذلك أنه لا يعتقد شيئا بعد ذلك.

وكذلك من أشرك في الربوبية من لم يعتقد الربوبية الكاملة لله جل وعلا وحده فإنه يتبع ذلك.

وكذلك من لم يوحد الله جل وعلا في العبادة فإنه لا يسمىٰ مؤمنا بالله ولو كان يعتقد أن الله جل وعلا موجود وأن له الربوبية الكاملة له وحده دون ما سواه، وأنه ذو الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا، فإذا لم يوحّد الله جل وعلا في العبادة في نفسه أو أقرّ عدم توحيد الله جل وعلا بتصحيحه لذلك أو بتجويزه له فهو لم يؤمن بالله.

بقي الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات، هل من لم يؤمن بهٰذا نقضَ عدمُ إيمانه بذلك إيمانَه أصلا فيصبح كافرا؟ يقال: من لم يؤمن بتوحيد الأسماء والصفات ففي حقه تفصيل؛ تفصيله يأتي إن شاء الله تعالىٰ في هٰذه الرسالة، لأن شيخ الإسلام هٰذه الجملة وهي الإيمان بالله سيأتي بعد قليل ويقول: (**وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ**) وسيذكر الإيمان بالأسماء والصفات من الكتاب والسنة علىٰ وجه التفصيل، نرجئ تفصيل هٰذا الحكم إلىٰ موضعه.

إذن من أنكر توحيد الأسماء والصفات؛ يعني من لم يثبت لله جل وعلا جميع الأسماء والصفات، أو قال بالتشبيه في بعض المواضع أو نحو ذلك، فهل يقال: إنّ هٰذا ليس بمؤمن بالله؟ ليس بمؤمن بهٰذا الركن؟ الجواب ثَم تفصيل يأتي في موضعه إن شاء الله تعالىٰ وهو من المهمات؛ لأن من الناس من غلا في هٰذا الجانب وكفر بالإخلال بشيء من أفراد توحيد الأسماء والصفات.

☚ الثاني من أركان الإيمان: **الإيمان بالملائكة**.

والملائكة جمع مَلْأَك وتخفف إلىٰ ملك، وأصل ملأك مألك من الأُلوكة وهي الرسالة الخاصة، كما قال الشاعر:

أَلِكْنِي إليها وخيْرُ الرسو ... لِ أَعْلَمُهم بنواحي الخبر

يعني أرسلني إليها برسالة خاصة، فتقول العرب له: ألوكة وأَلِكْني وأَلَكَني إذا أرسل برسالة خاصة.

والملائكة: جمع مألك أو ملأك، وهم المرسلون برسالة خالصة من الله جل وعلا.

فإذن مبنىٰ هٰذا الاسم علىٰ الإرسال، والملائكة هم الموكلون من الله جل وعلا، المرسلون في تصريف ملكوته، فهم موكّلون بتصريف ملكوت الله جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١].

والإيمان بالملائكة مرتبتان: إيمان إجمالي، وإيمان تفصيلي:

والإيمان الإجمالي: هو المعني بهٰذا الركن، ومعنىٰ الإيمان الإجمالي أنْ يؤمن العبد بأن الله جل وعلا خلقا وهم الملائكة، وأنهم مطهرون عباد مكرمون، ليسوا بمعبودين ولا يستحقون ذلك، وأن الله جل وعلا خصهم بأنواع من الرسالات لإنفاذ أمره في خلقه، وهٰذه الأخيرة قد تدخُل في الإيمان التفصيلي.

فمن اعتقد هٰذا الإيمان الإجمالي: وهو أن لله جل وعلا خلقا هم الملائكة وأنهم مطهرون لا يعصونه ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[التحريم]، وأنهم عبيد لله وليسوا بمعبودين. فقد حقق هٰذا الركن أتىٰ بهٰذا الركن، وهٰذه هي المرتبة الإجمالية.

من اعتقد هٰذا من العوام أو غيره إذا سألته: هل تؤمن بالملائكة؟ فقال نعم الملائكة موجودون، يُعبدون أو يَعبدون الله؟ فقال: لا؛ يَعبدون الله، حقق هٰذا الركن.

المرتبة الثانية الإيمان التفصيلي: وهي الإيمان بكل ما أخبر الله جل وعلا به في كتابه أو أخبر به النبي ﷺ في السنة من أحوال الملائكة وصفاتهم وخلقهم ومميزاتهم وما وُكلوا به وأنواع مهماتهم ونحو ذلك، هٰذا إيمان تفصيلي، يلزم العبد الإيمان به إذا علم النص في ذلك، فإذا علم النص وجب عليه الإيمان بما جاء في النص من هٰذا؛ لأنه أمر غيبي، ومن لم يصل إليه النص فإنه لا يكون ناقضًا لإيمانه بالملائكة، إذا كان قد أتىٰ بالإيمان الإجمالي؛ لأن الإيمان التفصيلي يختلف فيه الناس فهو تبع العلم.

فمثلا لو سألت عامّيا وقلت له: تعرف إسرافيل؟ هل تؤمن بإسرافيل؟ فقال: لا ما أؤمن بإسرافيل، من إسرافيل هٰذا ما هو؟ قال: ملك من الملائكة؟ قال: لا ما فيه ملك اسمه إسرافيل، فهٰذا لا يعد كافرا منكرا لوجود هٰذا الملك إلا إذا عُرِّف بالنصوص وعُلِّم بها إعلاما يكون الجاحد له كافرا، فيكون بعد ذلك ليس بمؤمن بهٰذا الملك، وهٰذا مرجعه إلىٰ تكذيب النصوص، لا عدم الإيمان بالملائكة، لأنه قد يكون مؤمن بجنس الملائكة لكن ليس بمؤمن بهٰذا علىٰ هٰذا الوجه فيكون مكذبا للنص فيعرّف ويعلم فإن أنكر كفر.

الملائكة أنواع منهم الموكلون بالمطر، منهم الموكلون بالموت.

فالموكل بقبض الأرواح ملك من الملائكة واسمه عند أهل الكتاب عَزرائيل، وفي بعض الآثار أو بعض المقاطيع سمي عبد الرَّحمٰن، هٰذا هو الموكل بقبض أرواح العالمين كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[السجدة:١١]، وتحته أيضا ملائكة هو رئيسهم وهو كبيرهم، تحته ملائكة يتوفون الناس بأمرهم فيقبضون الأرواح، كما قال جل وعلا: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾ [الأنعام].

كذلك منهم الموكل بتبليغ الوحي من الله جل وعلا للرسل أو بتبليغ الوحي من الله جل وعلا للملائكة وهو جبريل عليه السلام.

ومنهم الموكل بالقطر والحياة علىٰ الأرض وهو ميكائيل.

ومنهم الموكل بالنفخ في الروح وإعادة الحياة وهو إسرافيل.

وهؤلاء الثلاثة وهم جبريل وميكال وإسرافيل هم أشرف الملائكة وهم سادة الملائكة.

هٰذا كله من الإيمان بالتفصيل، الإيمان التفصيلي وهٰذا قد ألفت فيه مؤلفات ترجعون إليها، في أوصاف الملائكة في خلقتهم وفي منازلهم، وفي أحوالهم وفي أعمالهم، وفي عباداتهم وما وُكلوا به من الأعمال، ومن أحسن ما كتب في هٰذا كتاب «عالم الملائكة الأبرار» للدكتور الأشقر فإنه جمع فيه جمعا حسنا طيبا ويتحرىٰ الصواب في كثير من مباحثه.

☚ **الركن الثالث: الإيمان بالكتب.**

والإيمان بالكتب أيضا له مرتبتان: إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي، وكذلك الإيمان بالرسل له مرتبتان مرتبة إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي، علىٰ نحو ما ذكرنا في الملائكة، وحبذا لو ترجعون إلىٰ تفصيل ذلك حتىٰ ما نطيل في تفصيله، والبحث فيها معروف مشهور ومن أحسن من ذكر تفصيل ذلك الشيخ حافظ الحكمي في كتابه «معارج القَبول» فلو رجعتم إليه لمعرفة المعنىٰ الإجمالي للكتب والمعنىٰ التفصيلي، المعنىٰ الإجمالي للرسل والمعنىٰ التفصيلي وما يحصل به الكفر من ذلك وما لا يكون عدم المعتقد له كافرا يُرجع فيه إلىٰ ذلك لأجل اختصار الوقت.

هنا مناسبة: وهو أن الإيمان بالله هو الأصل، هو المقصود، والملائكة هم الواسطة بين الله جل وعلا وبين خلقه، فهم الذين ينزلون بالوحي إلىٰ الرسل، وينزلون بالكتب وبالشرائع، ولهٰذا رُتبت هنا أحسن ترتيب:

فقُدم الإيمان بالله لأنّ منه المبتدأ وإليه المعاد والإيمان به هو المقصود وكل أمور الإيمان هي كالتفريع للإيمان بالله.

والملائكة لأنهم يأخذون الوحي من الله جل وعلا ويسمعونه فينقلونه إلىٰ الرسل، وينزلون بالكتب فثلث بالكتب ثم الرسل، فالترتيب بين هٰذه الأربعة: الإيمان بالله، ملائكته لأنهم هم الواسطة، الكتب لأن الملائكة تنزل بها، الرسل لأنهم هم ختام هٰذه السلسلة ثم الرسل ينقلونها إلىٰ الناس.

ثم لا بد من الإيمان بـ(**الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ**)؛ الإيمان باليوم الآخر، وهو الإيمان بالموت وما بعده إلىٰ أن يدخل أهل الجنةِ الجنة وأهل النارِ النار، الإيمان بالبعث بعد الموت.

وهٰذا الإيمان بالبعث بعد الموت يأتي تفصيله إن شاء الله تعالىٰ في هٰذه الرسالة فقد أطال عليه شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في موضعه، فيدخل في الإيمان فيما بعد البعث جميع ما يحصل في عرصات القيامة حتىٰ دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

(**والإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**) يعني الإيمان بأنّ الأمور التي تجري في ملكوت الله إنما هي بقدَر سابق، بعلم سابق، ليست عن استئناف، عن غير علم من الله، عن غير تقدير من الله؛ بل كل شيء بقدر كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر]، ويأتي تفصيل هٰذه الجملة في موضعها في هٰذه الرسالة.

هٰذه أركان الإيمان الستة عند أهل السنة، وأما عند غير أهل السنة، ونعني بغير أهل السنة: المعتزلة والرافضة والخوارج ومن شابههم مَن لم يدخل في الالتزام بالسنة بوجه عام، فهؤلاء عندهم أصول

الإيمان غير هٰذه الستة، فهٰذه الستة هي أصول الإيمان عندنا، وهي التي تنبني عليها العقيدة عندنا، وكل ما في الاعتقاد تفصيل لها:

أما عند أهل الاعتزال فأصول الإيمان عندهم خمسة، مشهورة بالأصول الخمسة عند المعتزلة، وهي:

- التوحيد.
- والعدل.
- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- والمنزلة بين المنزلتين.
- وإنفاذ الوعيد.

وأما الرافضة فعندهم الأصول أربعة، أصول الإيمان أركان الإيمان التي تنبني عليها عقيدتهم أربعة وهي:

- الإمامة.
- والنبوة.
- والعدل.
- والتوحيد.

ويرتبونها هكذا: التوحيد العدل النبوة الإمامة.

فإذا أردت أن تعرف معتقد أهل السنة والجماعة فمعتقدهم تفصيل لهٰذه الستة، ومعتقد المعتزلة تفصيل لتلك الخمسة، ومعتقد الرافضة تفصيل لتلك الأربعة.

بعض السلف زاد علىٰ هٰذه الأركان قال: والإيمان بالجنة والنار. والإيمان بالجنة والنار هو من الإيمان باليوم الآخر.

هٰذه خلاصة لمعنىٰ هٰذه الجمل التي ذكرها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

أسأل الله أن ينفعني وإياكم بما سمعنا، وأن يزيدنا علما وهدىٰ واهتداء، وأن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.